الأدب الجاهلي ٢

قسم التحليل

المحتوى :

التحليل

غرض الحماسة تحليل نموذج البطولة عامر بن الطفيل

غرض الوصف تحليل نموذج الناقة عنترة بن شداد

غرض المدح تحليل نموذج مديح زهير بن أبي سُلمى

غرض الوصف تحليل نموذج السيل أوس بن حجر

د. خالد زغريت

الفصل الثاني للعام الدراسي ٢٠٢٣

تحليل نص في الفخر (البطولة)

قال الشاعر الفارس عامر بن الطفيل[1]" يتغنى ببطولته "[2] (الطويل):

١	لقد عَلِمَتْ عُلْيَا هَوَازِنَ أَنَّنِـي	أَنا الفارِسُ الحامِي حَقِيقَةَ جَعْفَـرِ
٢	وقد عَلِمَ المَزْنُوقُ أَنِّي أَكُـرُّهُ	علَى جَمْعِهِمْ كَرَّ المَنِيحِ المُشَهَّـرِ
٣	إِذَا ازْوَرَّ من وَقْعِ الرِّماحِ زَجَرْتُهُ	وقُلتُ: لَهُ ارْجعْ مُقْبِلاً غيرَ مُدْبِـرِ
٤	وأَنْبَأْتُهُ أَنَّ الفِرَارَ خَزَايَـةٌ	علَى المَرْءِ ما لم يُبْلِ جَهْداً فيُعـذِرِ
٥	أَلَسْتَ تَرَى أَرماحَهُمْ فِيَّ شُرَّعـاً	وأَنْتَ حِصَانٌ ماجِدُ العِرْقِ فاصْبِـرِ
٦	أَرَدْتُ لكيما يَعْلمَ اللهُ أَنَّنِـي	صَبَرْتُ وأَخْشَى مِثْلَ يومِ المُشَقَّـرِ
٧	لَعَمْرِي، وما عمْرِي عليَّ بِهَيِّنٍ	لقَدْ شَانَ حُرَّ الوَجْهِ طعْنَةُ مُسْهِـرِ
٨	فَبِئْسَ الفَتَى إن كُنْتُ أَعْوَرَ عاقِراً	جَباناً، فَما عُذْرِي لدى كُلِّ مَحْضَـرِ
٩	وقد عَلِمُوا أَنِّي أَكُرُّ عليهِـمُ	عَشِيَّةَ فَيْف الرِّيح كَرَّ المُـدَوِّرِ
١٠	وما رِمْتُ حتى بَلَّ صَدْري ونَحْرَه	نَجيعٌ كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ المُسـيَّرِ
١١	أَقُولُ لِنَفْسٍ لا يُجادُ بِمِثْلِهـا	:أَقِلِّي المِراحَ إِنَّنِي غيرُ مُقْصِـرِ
١٢	فلو كانَ جَمْعٌ مثلُنا لم نُبالِهِـمْ	ولكِنْ أَتَتْنا أُسْرَةٌ ذاتُ مَفْخَـرِ
١٣	فَجَاؤُوا بِفُرْسانِ العَرِيضَةِ كُلِّها	و أَكْلُبَ طُرّاً في لباسِ السَّنَـوَّرِ

(**المفردات** : هوازن: قبيلة جامعة من قيس بن عيلان، منها بنو عامر قبيلة الشاعر. حقيقة: يريد بها ما يحقّ عليهم أن يحموه من منع جار و إدراك ثأر. جعفر: أحد أجداد الشاعر. المزنوق: اسم فرس الشاعر. المنيح: قدح تكثر به القداح،

---

١ . هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة.فارس قومه وأحد فتاك العرب وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية. أدرك الإسلام شيخاً فوفد على الرسول الله وهو في المدينة بعد فتح مكة، يريد الغدر به، فلم يجرؤ عليه، فدعاه إلى الإسلام فاشترط أن يجعل له نصف ثمار المدينة وأن يجعله ولي الأمر من بعده، فرده، فعاد حانقاً متوعداً لكنه مات في الطريق بداء الطاعون. (٧٠ ق. هـ – ١١ هـ . ٥٥٤ – ٣٢ م). تنظر ترجمته في: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص ٢٤٢. والأعلام، ج٣، ص ٢٥٢.

٢ . ديوان عامر بن الطفيل، تحقيق كرم البستاني، دار صادر بيروت،لبنان، ١٩٦٣، ص٦١و٦٢و٦٣و٦٤. تنظر: المفضليات، ص ٣٦١و٣٦٢.

لا حظ له وإنما خصّ المنيح لكثرة جولانها في القداح لأنه إذا خرج منها ردّفيها، وإذا خرج منها غير مما له حظ عزل عنها، وهو غير المنيح الذي يزجر به. وهو مما يتفاءلون به. وقد كنى به الشاعر عن كثرة كر حصانه وفره، المشهر: المشهور: وأراد: كثرة جولانه عليهم. . ازورّ: مال وانحرف. . خزاية: جريمة يستحيا منها. يعذر: يأتي بعذر. . شرّعاً: جمع شارع وهو من قولهم شرّع الرمح سدده. ماجد: شريف. العرق: يراد بها أرومة الأصل. . يوم المشقر: من أيام العرب، والمشقر مدينة هَجَر. . مسهر: هو الذي غدر بعامر وطعنه بالرمح في وجهه ففلق وجنته و انشقت عينه، وهو مسهر بن يزيد بن عبد يغوث الحارثي وكان فارساً شريفاً. . فيف الريح : هي الموقعة التي يتحدث الشاعر عنها ووقعت بين قومه عامر بن صعصعة و الحارث بن كعب وكتب النصر فيها للعامرين . . المدوّر: الذي يطوف بالدوار وهو أعماد كانوا يتخذونها بحذاء أوثانهم، وهذا لم يذكر في المعاجم،وفيها الدوار اسم صنم. . رمت: برحت. نجيع: الدم المصبوب. هداب: أطراف. الدمقس: الحرير. المسيّر: برود من اليمن، فيها خطوط. . المراح: شدة النشاط حتى يجاوز قدره. . العريضة: الأرض كلها. أكلب: حي من قشعم، السنور: جملة السلاح، وقيل: الدروع.)

المقدمة:

تشكل هذه الأبيات لوحة بطل سرت أخباره إلى أبعد من حدود العرب٣، فكان مثَل البطولة عند الفرسان٤، وهي لوحة خالصة لتصوير بطولته في معركة حقيقية خاضها، وانتصر فيها على الرغم مما خلفته في نفسه من جراح جراء الغدر به، وقد رسم فيها نموذج بطولته.

المستوى الفكري : يتجلى بجملة الفكر التي تجسد البطولة في مظاهرها الحسية و المعنوية ، وتمحورت في الأبيات حول محوري الشكل و الفعل :

الشكل : هو الهيئات التي تصور مشاهد البطل في المعركة و قتاله، و صور الأعداء الذين يلقونه :

هيئة ثبات البطل : صور الشاعر ذاته ثابتاً يجالد الخصوم فكان يدعو حصانه الكريم إلى الاقتداء بثابته وسط الرماح ، ورسم هيئة تضرج نحره وصدر حصانه بالدم دلالة على بأسه وثباته ، وكان يزجر حصانه الماجد إِذَا ازْوَرَّ من وَقْعِ الرِّماحِ، ويحثه على الثبات ، ويبين هيئة مجالدته و الرماح تسدد إليه ، ولكنه لا يأبه .

هيئة البطل وحصانه : صور ذاته ثابتاً يتلقى الرماح ، وقد تبلل نحره وصدر حصانه بالدم وبات يتقطر منه فبدا صدر حصانه مثل أهداب الحرير الدمقسي ، و البرود اليمانية .

هيئته في الكر: جسد الشاعر تمرسه في الفروسية واندفاعه و فنون قتاله ، بكثرة كره على الأعداء فشبه كره بكَرّ المدَوِّرِ وهو مثل لكثرة الكر و الإقدام و المهارة القتالية ، فالمدور هو الذي يطوف بالدوار وهو أعماد كانوا يتخذونها بحذاء أوثانهم، وشبه فرط كره بكر المنيح ، وقد خصّ المنيح لكثرة جولانه في القداح لأنه إذا خرج منها ردّ فيها، وإذا خرج

---

٣ . كان قيصر الروم إذ قدم عليه أحد، قال ما بينكم وبين عامر بن الطفيل. انظر: معجم الشعراء المخضرمين والأمويين، ص ٢٣٤.

٤ . روي عن عمرو بن معد يكرب . (هو من فحول الشعراء و الفرسان العرب المشهورين في الجاهلية من اليمن من قبيلة مذحج) . تهيّبه بأس السليك، فقال:" لو سرت بظعينة وحدي على مياه معدّ كلِّها ما خفت أن أغلب عليها، ما لم يلقَني حُرَّاها أو عبداها، فأمّا الحرّان فعامر بن الطُّفيل وعُتيبة بن الحارث بن شهاب، وأما العبدان فأسود بني عبس ويعني عنترة والسليك بن السلكة، وكلَّهم قد لقيت، فأما عامر بن الطفيل فسريع الطعن على الصوت، وأما عتيبة فأول الخيل إذا غارت، و آخرها إذا آبت، وأما عنترة فقليل الكبوة شديد الكَلَب، وأما السليك فبعيد الغارة كالليث الضاري". تنظر: الرواية في: الأغاني،ج ١٥، ص ٢٠٦. وأخبار عمرو في: الأعلام، ج٥، ص٨٦.

منها غير ما له حظ عزل عنها، وهو غير المنيح الذي يزجر به. وهو مما يتفاءلون به. وقد كنى به الشاعر عن كثرة كر حصانه وفره،دلالة على مهارته الفائقة في الفروسية .

عوره : أظهر نفسه متألماً مما ألحقته به طعنة مسهر، فكان أعور ، قد قلعت عينه في القتال.

هيئة الفرسان : صور هيئة أعدائه في فرط عدتهم وعديدهم فقد ملؤوا الأرض و كانوا مدججين بالدروع ، وبدوا في هيبة عظيمة .

أسهمت الصور التي جسدت المرئيات في أجواء المعركة في بعث الشعور بمهابة المعركة وهيبة البطل و عظمة مشاهد القتال.

الفعل : هو مجموعة الأفعال البطولية التي قام بها البطل ، وقد أسهب عامر في إبراز أفعاله القتالية ومواقفه في المعركة التي تدل على بطولته.

الشجاعة والفروسية: تجلت الشجاعة باتّسام البطل بالإقدام، والبسالة، والبأس في مواجهة المخاطر، والجلد والثبات في المواقف الصعبة، ثمّ التغلّب عليها. **وبدت الفروسيّة** بامتلاك البطل مهارة القتال والخبرة العالية في شؤونه، والفروسيّة هي محصّلة تشمل عناصر فعل البطولة كلّها.

النبل: بدت معاني النبل في عراقة نسب البطل ورفعة مكانته، وتطلّعه إلى المجد، وتشبّثه بالمحافظة على إرث الأجداد المجيد، ونفوره عن المذمّة والفعال المشينة.

الحكمة والقيادة والمسؤولية: برز البطل في فعاله مخلِص الانتماء إلى قبيلته متّصفاً بروح القيادة والإحساس بالمسؤولية تجاهها وتحمُّل عبء حمايتها ورعايتها.واتسم بمظهر قوة الشخصية التي تتمثل بمظاهر سيادة البطل، وقوة إرادته وصلابة عزيمته وحزمه.وأما الحكمة فأظهرها بتحلّي البطل بحسن التدبّر، والبصيرة النافذة، والحنكة في القيادة.

الغَلَبة و الفردية: غلبة الأقران والانتصار في المعركة هي شرط البطولة ونتاج فعلها، غير أن الشاعر لم يبرزها صراحة في النصّ على أن التاريخ يُقرّ انتصار قوم الشاعر بقيادته، ويمكن استنتاجها من تصوير الشاعر كرَّه المستمرّ على الخصم، ومن إشارات تدلّ على تفوقه وثباته، وملاقاته جموع الفرسان المدرعِين.

أما الفردية فقد بيّن الشاعر أنه الفارس والحامي لحقيقة جعفر في تصريح واضح بالبطولة الفردية، وكان حديثه عن فعال البطولة مقتصراً على ذاته.

شكلت مجموعة الفكر التي تمحورت حول تجسد هيئات البطل ومشاهد المعركة وأفعاله صورة جلية للبطولة في العصر الجاهلي .

المستوى الفني :

نتبيّن ماهيّة البناء الفني لصورة البطل بتحليل جملة الألفاظ و الأساليب و الصور و الإيقاعات التي أكست المعاني أفقاً خيالياً و سمات جمالية .

الألفاظ :

صاغ عامر جملة فكره التي تتعلق بالبطولة بشعرية ذات طابع حماسي تُعنى بتضخّم صورة الفعال وتمثيلها بمرئيات ظاهرة القوة والعظمة، وعمل على بناء الإحساس بجمالية البطولي بجملة الألفاظ التي تحمل دلالات الحرب والصراع والقوة

والغلبة، وهي ألفاظ في أغلبها مستمدة من معجم البطولة الجاهلية التي تشكّل في اللوحة بؤرة الإحساس الأولى بجمالية البطولي لأنّ "معجمَ أيّ نصٍّ يمثّل، في المقام الأول، عالم ذلك النصّ، أمّا الكلمات التي يتكوَّن منها؛ فهي التي تملأ فراغ ذلك العالم، ومن كلا الجانبين تتخلَّق بنية الوجود الشعري" وهي بنية تتجلّى بما تحمله الألفاظ من دلالة على جمالية البطولي، فتشكلت جملة معجمات لفظية تحمل معاني البطولة ، فكان معجم الحرب: (الفارس ، حامي ، كر ، حصان ، رماحهم ، فيف الريح ، المشقر، السنور) و معجم فنون القتال (أكره، شرعاً، كر، زجرته ، مقبل ، مدبر ، ماجد) ومعجم القيادة والمسؤولية(عليا ، الحامي، حقيقة ،خزاية، فاصبر) ومعجم البيئة الجاهلية : (المنيح، المدور، المشقر، فيف الريح ..) أسهمت المعجمات اللفظية في بناء الإحساس بالبطولة الجاهلية ، و عملت الصيغ الصرفية على تعظيم دلالة الشكل والفعل البطوليين ، فجاءت صيغ المضارعة ييل ، نبالهم ، أكره لشحن معاني النص بالدلالة على تجدد البلاء و المبالاة ، والكر واستمرارهم، وحملت صيغة الماضي ، علم، شان ، بل، فجاؤوا، الدلالة على تحقق العلم و الشين ، والبل و المجيء وثباتهم. واستعمل الصفات المشبهة بالفعل(الفارس ، حقيقة، جبان) للدلالة على استمرار الفروسية و الحق و الجبن وديمومتهم وثباتهم (... أسماء الفاعل..) ، فعملت الألفاظ بدلالتها ومعاجمها على تجسيد معاني البطولة الجاهلية وخصائصها القتالية والأخلاقية.

الصور :

استدعى عامر في تكوين لوحة البطولي أجواء معركة عاش بطولتها وجزئياتها على وقع جرح خلّف ندباً قاسياً في نفسه وجسده، إذ غدر به "مسهر" وفقأ عينه فبقي ظلامها شاهداً حياً على بلائه وابتلائه بها، وعمل بهذا الاستدعاء على نقل مشهد فعاله في أرض المعركة، واعتمد في إثارة الخيال والتهويل على مؤثرات التنظير بمثل عليا فاستعمله أربع مرات، فجعل جولانه في المعركة نظيراً لمثل أعلى لجولان المنيح، وجعل مجالدته نظير مجالدته "يوم المشقر"، ونظّر لهجومه بكَرّ المدَوِّرِ، ونظّر لثباته وتضرجه بالدم بمثل أعلى" النجيع بالدمقس المسير". وجسّد هذا النمط باستعماله بعض أساليب الصورة البلاغية التي كانت منسجمة وإيقاع نفسه، فقد كان الشاعر بعد (شينه بطعنة مسهر) أعوز ما يكون إلى البرهان والإقناع ببطولته التي يخشى افتقادها، فأكثر استعمال الكناية لأثرها المعنوي في الإقناع، فهي تقدّم الحقائق مصحوبة بأدلة، فتؤدي تصويراً يقيم البرهان المعنوي والجمالي في الآن معاً لما يريده الشاعر، فكنى عن منعته للقبيلة بقوله (الحامِي حَقِيقَةَ جَعْفَرٍ)، وعن أصالة حصانه بـ(حِصَانٌ ماجِدُ العِرْقِ)، وعن ضراوة اليوم أو المعركة بـ(يومِ المشَقَّرِ)، وعن العزة بقوله (لا يُجادُ بِمِثْلِها)، وكان البيت الثاني عشر بتمامه كناية عن القوة والكثرة.

طبع التصوير بدلالاته المختلفة الأبيات بواقعية البطولة وتفرد البطل في قسمة بين الواقعية والخيال، فعملت على إطلاق جماليات معاني البطولة في لبوس تصويري .

الإيقاع:

تدفّقت هذه الترنيمة على وقع صوتي يوحي بالبطولي نشأ من تناغم مجموعة أحرف وتكرارها، توحي أصواتها بجلبة الحرب وأصداء القراع وحركة المعركة وظهور الأبطال، (فقد كان صوت "الراء" الذي يوحي بالتحرك والتكرار والترجيع الأكثر تكراراً في النص فبلغ عدد وروده (سبعاً وخمسين) مرة. فصوت "الميم" الموحي بالجمع والكسب تكرر (ثلاثاً وأربعين) مرة. وصوت "العين" الموحي بالفعالية والظهور ونشوة النفس تكرر (ستاً وعشرين) مرة. وتكرر صوت "القاف"

الموحي بالقساوة والصلابة وأصوات التفجر والكسر (ثماني عشرة) مرة.و أوحى إيقاع المد القصير في ازور، رمت ،بل على المد الزمني السريع الخاطف الذي يجسد أحوال مهارة سرعة الحركة ، و أوحى المد الطويل في آخر (بمثلها، عليا، الحامي) بالمد الزمني للصوت الذي يناسب التفاخر و التباهي ، وتشابكت هذه الأنغام الصوتية لتوقّع المعاني بجرس فخم يعبر عن البطولة، وينمّي الإحساس بها فتأخذ اللوحة مداها الشعري في التعبير الجمالي عن البطولي، ولاسيما حين صبّها الشاعر في إيقاع البحر الطويل الذي يموج بحركة النفس وهي تتأمل فعالها وأحلامها بوصف تحليلي، مشوبة بنبرة حزن جراء الإحساس بمرارة الغدر وقد أوحت بها الراء المكسورة.

الخاتمة:

لقد عملت الظلال النفسية للشاعر من خلال البؤر الرمزية على تحويل جمال لوحة البطولة من لوحة جمال أصمّ إلى لوحة تفور خطوطها بالحياة وتنبض ألوانها بوهج النفس وخفاياها ولأنّ "الفن لحظة من لحظات تطوّر الروح فقد سكب الشاعر روحه نابضة في لوحته، وجسّد بطولته برؤيته الذاتية، لذلك تطوّر جمال اللوحة بتطوّر روحه فيه.

تحليل نموذج وصف الناقة

قال عنترة بن شداد في وصف ناقته تقطع المفاوز:

هل تُبْلِغَنِّي دارَها شَدَنِيَّـةٌ لُعِنَتْ بِمَـــــــحْرُومِ الشَّرابِ مُصَرَّمِ
خَطَّارَةٌ غِبَّ السُّرى زَيَّافـــةٌ تَقِصُ الإكامَ بكـــــلِّ خُفٍّ مِيَثمِ
وكَأنَّما أَقِصُ الإكامَ عَشِيَّةً بِقَرِيبِ بينَ المَنْسِمَيْنِ مُصَـــــــلَّمِ
يَأوي إلى حِزَقِ النَّعام كما أوَتْ حِزَقٌ يَمَانِيةٌ لأَعْـــــــجَمَ طُمْطُمِ
يتبَعْنَ قُلَّةَ رأسِهِ و كأَنَّهُ زوَجٌ عـــــــلى حرجٍ لهُنَّ مخَيَّمِ
صَعْلٌ يعودُ بذي العُشَيْرةِ بَيْضَهُ كالعَبْدِ ذي الفروِ الـــــطَّويلِ الأَصْلَمِ
شَرِبَتْ بماءِ الدُّحْرُضَيْنِ فأصْبحتْ زَوْرَاْءَ تَنْفِرُ عـــــنْ حِيَاضِ الدّيْلَمِ
وكأنَّما ينْأى بجانبِ دَفِّها الـ ـــــــ وَحْشِيِّ بَعْـــــدَ مَخْيَلَةٍ و تَزَغُّمِ
هِرٌّ جَنِيْبٌ كلما عَطَفَتْ لهُ غَضْبـــى اتَّقاها باليَدَيْنِ و بالفَمِ
أبْقَى لها طولُ السِّفارِ مُقَرْمَداً سَنَداً وَ مِثْلَ دَعائـــمِ المُتَخَيِّمِ
بَرَكَتْ على ماءِ الرِّداعِ كأنَّما بَرَكَتْ عـــــلى قَصَبٍ أَجَشَّ مُهَضَّمِ
و كأنَّ رُبَّاً أو كُحَيْلاً مُعْقَداً حَشَّ الْقِيانُ بـــهِ جَوَانِبَ قُمْقُمِ
يَنْباعُ من ذِفْرى غَضوبٍ جُرَّةٍ زَيَّافَةٍ مِثْلِ الْفَنِيْقِ الـــــمُقْرِمِ

(معاني الكلمات:١ – شدن: أرض أو قبيلة تنسب إليها الإبل. الشراب اللبن. التصريم القطع.٢ خطارة: ترفع ذنبها في سيرها. الزيف التبختر. الوطس والوثم الكسر.3 – المصلم: من أوصاف الظليم. 4– القلوص: من الإبل والنعام بمنزلة الجارية من الناس. الحزق:الجماعات. الطمطم: الذي لا يفصح. الأعجم: الحبش. والإبل اليمانية:في الغالب سوداء.5 – قلة الرأس: أعلاه. الحدج مركب للنساء – النعش الشيء المرفوع.6– الصعل: ذكر النعام صغير الرأس. يعود: يتعهد،

شبه الظليم بعبد لبس فروا طويلا. الأصلم: مقطوع الأذنين.7- شَرِبَتْ بماء الدُّحْرُضَيْنِ: شربت من ماء الدحرضين، وهما ماءان، يقال لأحداهما وشيع و للآخر الدحرض، فلما جمعهما غلّب أحدهما. الزوراء: المائلة. الديلم: أرض. 8- الدف: الجنب. الوحشي: الجانب الأيمن. وقيل له الوحشي لأنه لا يركب منه ولا ينزل. المخيلة: الاختيال. التزعم: النشاط ٩ -جنيب: بجانبها. 10- المقرمد: المجص: السند: المشرف. الدعائم: خشب الخيمة. المتخيم: الذي نصب الخيمة. 11- بَرَكَتْ على ماءِ الرِّداعِ: طال ظمؤها. الرداع: مكان. على قَصَب:أي كان عندها حين بركت مزامير. أَجَشَّ: الأبح أو الجهير. مُهَضَّمِ: القرار. ١٢- الرب:شبيه بالدبس، شبَه عرق الدابة به. الكحيل:القطران. حش: أوقد. القيان: الإماء. ١٣- يَنْباعُ من ذِفْرى غَضوبٍ: يسيل من ذفري هذه الناقة. ينباع: باع يبوع. الذفري: أصل القفا و الأذن. غضوب: نشيطة. حُرَّة: كريمة. زَيَّافَة: مسرعة. الْفَنِيْقِ: الفحل من الإبل)

التحليل :

مقدمة : حظيت الناقة بتقدير الشعراء الجاهليين ، وإعجابهم إذ كانت وسيلتهم في الترحال و السفر ،ورفيقتهم في وحشة دروب الفيافي ومخاطرها، فتغنوا بشكلها وأفعالها المهيبة ، وأكبروا جدها في قهر المفاوز و طول السفر ، و تمثل هذه الأبيات صورة عن فن وصفها في الشعر الجاهلي.

المستوى الفكري :يتجلى المستوى الفكري بمجموعة الفكر التي انطوت عيها أوصاف الناقة في روعة شكلها وأفعالها.

الشكل: عني عنترة بتصوير شكل الناقة وهيئاتها بتشبيهها بمشاهد متحركة حية من الطبيعة الجاهلية ، وكان أبرزها:

الضخامة: أظهر عنترة ناقته ضخمة فشبهها بظليم ضخم الجسم والرأس الذي يشبه مركب النساء ،فجعله كخيمة فوق مرتفع، و جعلها لطول السفر عالية السنام ،وقوائهما مثل دعائم الخيمة ، فصورها لعلوها مثل مبنى من الآجر أملس مطلي، ولضخامتها تنضح العرق الذي يتلوى من خلف أذنها وهي تجد السير مثل فحل ضخم ، فأكثر من الصور التي تدل على الفخامة والضخامة والهيبة .

اللون : برز اللون في صورة الظليم الذي يشبه عبداً أسود ، والعرق الذي يتصبب أسود مثل القطران. وفي طلي الآجر، ويحمل اللون الأسود دلالة على فخامة الناقة وروعتها.

هيئاتها : تشبه الظليم في التقريب بين منسميه عند عدوه ، وحين يصوت تجتمع إليه النعام كما تجتمع الإبل اليمانية إلى راعيها وهو يناديها ولا يفصح كلامه، تسير إليه النعام وقد جعلت أعلى رأس الظليم نصب أعينها ، و جعل الظليم صغير الرأس دقيق العنق ، يتعهد بيضه ، وهو يشبه عبداً أسود مقطوع الأذنين ، وأظهرها تجد السير كأن هراً يخدشها وكلما انحرفت غضبى نحوه لتعضه يخدشها ، وشبهها بفحل عضته الفحول فزاد سرعة وعدواً.

عمل الشكل على تجسيد ضخامة الناقة و هيئاتها وهو شكل يحمل دلالات على عظمة فعالها، فبعث الشعور بمهابتها وفخامتها.

الفعل : أظهر عنترة أفعال الناقة التي تدل على قواها ونشاطها وجلدها ،وكان أهمها:

القوة: عدد عنترة مظاهر القوة في ناقته ، فبدأ بالدعاء عليها بألا تلقح ولا تحمل ، فينقطع لبنها ، واستجيب الدعاء عليها، فهي بذلك تكون أقوى وأصبر ، وهي شديدة الضرب بخفيها القويتين في الإكام والأرض المرتفعة، جعلها تكسر الإكام بأخفافها ؛ لشدة وطئها . وصورها جسرة قوية و جعلها تشبه فحل الإبل لقوتها.

السرعة و النشاط: بين مظاهر نشاطها برفع ذنبها وتحريكه في المشي للدلالة على نشاطها ،فهي تسير الليل كله ،وتضرب الإكام ضرباً شديداً بخفيها، وتعدو عدو الظليم الذي يقرب بين منسميه للسرعة و النشاط والخفة ، وصورها يزداد نشاطها حين تفتر الإبل ، فبدت لشدة نشاطها كأن هراً يخدش جنبها ، وبين العرق الذي يسيل منها دلالة على نشاطها وسرعتها التي تشبه الفحل الذي عضته الفحول فاشتد في السرعة.

الصلابة والجلد: جعلها ناقة منقطعة اللبن والحمل للدلالة على صبرها في مقاساة شدائد الأسفار، وقد شربت من ماء الدحرضين ،فلا تحتاج إلى ماء الديلم ، وحين أهزلها السفر بقيت قوائمها صلاباً طويلة بعد جهد السفر، و بين شدة تحملها المشاق فحين بركت قرب ماء الرداع أصدرت أنيناً يشبه صوت تكسر القصب ، وسال العرق مثل قطران أسود جعل في قمقم تحته نار ، فبدأ يترشح ،ويسيل من خلف أذن ناقة ضخمة .

عبرت أفعال الناقة عن تميزها بقوى عظيمة تجعلها تذلل مشاق السفر ، وتدل على صلابتها وشدة تحملها في قهر صعوبات الرحلة.

وتضافرت جملة الأفكار التي جسدتها هيئات الناقة وأفعالها على روعتها ومهابتها وشدتها ، فبنت الإحساس بهذه الروعة والتقدير و الإعجاب بها

المستوى الفني: صاغ عنترة أوصافه للناقة في نسيج فني أكسبها روعة وإبانة ، وتخيلاً أضفى عليها صبغة جمالية أسهمت في بناء شعرية الوصف، وسندرس مكونات هذا النسيج وفق الآتي:

الألفاظ:

ارتبطت ألفاظ النص ببيئته الجاهلية زمانياً ومكانياً ، و بخصائص وصف الناقة الذي ينتمي إلى الواقعية ، فتشكل في النص مجموعة معجمات ترتبط بمعان وصفية واقعية تعبر مباشرة عن الناقة وشكلها وفعلها ،فبرز معجم المكان (شدنية، الإكام، يمانية، الدحرضين، الديلم، الرداع)

ومعجم الحيوان (قلص، النعام، الظليم ، حزق، صعل،بيضة، هر) ،ومعجم أعضاء الناقة و حركتها(خطارة، زيافة، تطس، المنسمين، خف ،وخد ..) أدت هذه المعجمات دقة في وصف شكل الناقة وفعلها و مشهد الحياة الواقعية للبيئة الجاهلية، وأسهمت الصيغ الصرفية المتنوعة للألفاظ في التعبير عن روعة شكل الناقة وعظمة فعالها، فجاءت مبالغة اسم الفاعل في خطارة ، زيافة ميثم لتدل على الإكثار و الزياد في الخطر و الزيف والوثم ،ودلت صيغ المضارعة : تبلغني ،تطس أقص على تجدد الإبلاغ و الطس و القص واستمرارها، ووردت صيغ الماضي أبقى ، بركت ، عطفت على الدلالة على تحقق الإبقاء و البرك و العطف و ثباتها . عملت البنية اللفظية على بناء الإحساس بروعة شكل الناقة وفعلها ومهابتهما.

الصور:

وظف عنترة الصور البلاغة لأثرها في جذب المتلقي وتأثيرها الجمالي على نفسه، فشبه قوائم الناقة بدعائم المخيم ، و أنينها من شدة التعب بصوب القصب المكسر ،فعمل التشبيه على إثارة الخيال ، والمبالغة و تهويل ضخامة سنامها وعلوه ،وألم تأوهها من التعب و الجهد .ووظف التشبيه البليغ (أبْقَى لها طولُ السِّفارِ مُقَرْمَداً سَنَداً) الذي جعل سنامها بناء عالياً من الآجر لما يحمل هذا التشبيه بوصفه أقوى أنواع التشبيه من شدة المبالغة واتساع إثارة الخيال، وزيادة

الإقناع عن طريقة تأثيره النفسي الجمالي، فهو وسيلة تؤدي إلى زيادة شدة إثارة الخيال والمبالغة والتهويل و الإيضاح، ونقل الخفي إلى الجلي، و العقلي إلى المحسوس. وتأتي هذه الزيادة لأنه يجعل المشبّه هو المشبه به نفسه، أي فيه اتحاد بين المشبه و المشبه به في وجه الشبه، أي يستوفي المشبه منتهى طاقة دلالات المشبه به من دون تدرج أو فواصل بأدوات التشبيه.وأتى بالتشبيه التمثيلي الذي يفيد الزيادة على ما يفيده التشبيه،لأن التمثيل يقدّم الحجج و البراهين العقلية التي تؤدي إلى زيادة الإقناع، و إثارة الخيال و المبالغة والتهويل و الإيضاح،فشبه عرق الناقة الذي يسيل منها بقطران موضوع في قمقم أوقدت تحته نار ،فراح يترشح عند الغليان أسود ، ويسيل ويتلوى من خلف أذن ناقة قوية ضخمة تشبه فحلاً من الإبل عضته الفحول ، و استعمل الكناية التي تأتي مصحوبة بدليل فتحمل البراهين والحجج للإقناع، وإثارة الخيال، فكنى عن شدة جهدها وصلابتها وتحملها المشاق وجلادتها بسيل العرق الأسود ، وعن شدة نشاطها بحركة ذيلها ، وعن قوتها بطس الإكام وكسر الأرض الصلبة بخفيها .

الإيقاع:

تشكل الإيقاعات الموسيقية الداخلية والخارجية صدى نغمياً يوقع معاني روعة الناقة ويبعث الإحساس بجماليتها، فأدى تكرار حرف (الميم) نغماً صوتياً يوحي بالحنو والضم والاتساع التي تجلت في مشاعر عنترة اتجاه الناقة، وطول السفر ، وأوحى تكرار الراء بترجيع الحركة وتكرارها وهو ما يوقع حركات الناقة في سيرها ، و أوحى تكرار حرف العين بفعالية الناقة وظهور فخامة شكلها، وتميز تكرار أحرف القلقة (ق ، ط،ب، ج،د) بالإيحاء بالهيبة والقوة و الوقار، ورفد هذا الجرس الرائع المد القصير الذي يلائم صوته مهلة زمنية قصيرة توقع الأحوال النفسية إذ الدعاء في (بمحروم) يتطلب السرعة لترقب تحقق الدعاء ، وفي (تقص) تعبر عن قوة الضرب وسرعته ، وفي (ينباع) عن سرعة تدفق العرق وانسيابه، بينما وقع المد الطويل في (دارها ، السرى ، يأوي) عن الفسحة الزمنية التي تتسع باتساع (الراحة في الدار ، و اتساع الليل و طول السفر فيه ، و طول السكينة في الإيواء)، و علا إيقاع الروي بالكسر للدلالة على الوقار و المهابة ، و الحزن الذي يبعثه شقاء السفر، وصبت مجمل هذه الإيقاعات في تفعيلات البحر الكامل الذي يوقع اكتمال الشعور والامتلاء النفسي بمشاعر الحب والتقدير و الإعجاب بالناقة.

لقد كونت جملة هذه الإيقاعات صورة موسيقية موازية في إيحاءاتها لمعاني روعة الناقة.

خاتمة:

جسد عنترة في أبياته صورة الناقة الفخمة المهيبة في فعلها وشكلها ، و رسم مشهد جهدها وصلابتها في تحدي مصاعب طريق السفر و مشاقه ، جعلها لوحة حية تنتمي إلى البيئة الجاهلية ، وعبر عن علاقته الحميمة بناقته ، فغنى روعتها ومهابتها وجهدها

تحليل نموذج المديح : مدح زهير بن أبي سُلمى هرم بن سنان

قال زهير بن أبي سلمى في مدح هرم بن سنان [٥] (البسيط):

بَلِ اذكُرَنْ خَيرَ قَيسٍ كُلِّها حَسَبـــاً ... وَخَيرَها نائِلاً وَخَيرَها خُلُقـــــــا

وَذاكَ أَحزَمُهُم رَأياً إِذا نَبَـــــــأٌ ... مِنَ الحَوادِثِ آب النَّـــاسَ أَو طَرَقا

فَضلَ الجَوادِ على الخَيلِ البِـــطاءِ فَلا ... يُعطي بِذَلِكَ مَمنونـــــاً و لا نَزِقا

قَد جَعَـــلَ المبتَغونَ الخَيرَ في هَرِمٍ ... والسَّائِلونَ إِلى أَبوابِهِ طُرُقـــــا

القائِدَ الخَيلِ مَنكوباً دَوابِرُهـــــا ... قَد أُحكِمَت حَكَمـــاتِ القِدِّ وَالأَبَقا

غَرَتْ سِماناً فآبَتْ ضُمّراً خُدُجـــاً ... مِنْ بَعدِ ما جَنَبوهـــا بُدّناً عُقُقَا

حتى يثوبَ بها وجْياً معطَّـــــلةً ... تشكو الدوابرَ و الأنساء و الصُّفُقـــا

يَطلُبُ شَأوَ امرأَينِ قَدَّما حَسَـــناً ... نالا المُلوكَ وَبَذّا هَذِهِ السُّوَقـــــا

هُـــوَ الجَـــوادُ فَـــإِن يَلحَـــق بِشَـــأوِهِما ... عَلـــى تَكاليفِـــهِ فَمِثلُـــهُ لَحِقـــا

أَغَـــرُّ أَبـــيَضُ فَيّـــاضٌ يُفَـــكِّكُ عَـــن ... أَيـــدي العُنـــاةِ وَعَـــن أَعناقِهـــا الرِّبَقـــا

مَـــنْ يلـــقَ يَومـــاً عَلـــى عِلّاتِـــهِ هَرِمـــاً ... يلـــقَ السَّـــماحَةَ مِنـــهُ وَالنَـــدى خُلُقـــا

ولَـــيسَ مـــانِعَ ذي قُـــربى وَ لا نَسَـــبٍ ... يَومـــاً وَلا مُعـــدِماً مِـــن خـــابِطٍ وَرَقـــا

لَيـــثٌ بِعَثَّـــرَ يَصـــطادُ الرِّجـــالَ إِذا ... مـــا كَـــذَّبَ اللَّيـــثُ عَـــن أَقرانِـــهِ صَـــدَقا

يَطعَـــنُهُم مـــا ارتَمَـــوا حَـــتّى إِذا اِطَّعَنـــوا ... ضـــارَبَ حَـــتّى إِذا مـــا ضـــارَبوا اعتَنَقـــا

هَـــذا وَلَـــيسَ كَمَـــن يَعيـــا بِخُطَّتِـــهِ ... وَســـطَ النَّـــدِيِّ إِذا مـــا نـــاطِقٌ نَطَقـــا

لَـــو نـــالَ حَـــيٌّ مِـــنَ الـــدُّنيا بِمَنزِلَـــةٍ ... أُفقَ السَّمـــــــــــاءِ لَنالَت كَفُّهُ الأُفُقا

المفردات : (قيس: هو قيس عيلان من مضر. الحسب: العمل الصالح. النائل: العطاء. آب الناس: جاءهم ونزل بهم. فضلَ: أي فضل هرم فضل الجواد. ممنوناً: من المنة. نزقاً: إذا جاءت منه حِدّةٌ في العطية. المبتغون: الطالبون. دوابرها: حوافرها. منكوباً: أي تأكلها الأرض وتؤثر فيها. أحكمت: جعل لها حكمات، والحكمة التي تكون على الأنف من الرسن. القد: ما قطع من الجلد. الأبق: شبه الكتان. الخدج: التي تلقي أولادها لغير تمام .**والبدن** :جمع بادن ، وهي الضخمة السمينة . والعقق : جمع عقوق. وهي التي استبان حملها .**جنبوها** :قادوها. وكانوا

٥ ـ شرح شعر زهير بن أبي سلمى، ص٤٦، ٥١.

يركبون الإبل، و يقودون الخيل . يثوب: يرجع . وجياً: تتوخى من رقة الحوافر لكثرة السير: ملبدة الشعر مغبرة. المعطلة لا أرسان لها. الأنساء: جمع نسا وهو عرق في الفخذ. الصفاق: الجلد الذي دون الجلد الأعلى الذي مما يلي البطن حيث ينقب البيطار. الشأو: الطلق من الجري. والغاية. وأراد بالامرأين: أباه وجده. بذّا: غلبا. فاقا. السوق: أوساط الناس . على تكاليفه: أي على ما يتكلف من الشدة والمشقة. . أغر: في وجهه غرة، أي بيّن الكرم ويكون لا عيب فيه. أبيض: نقي لا عيب فيه. فياض: كثير العطاء. العناة: الأسرى وواحدها العاني . الربق: جمع ربقة، وهو حبل طويل فيه مواضع تجعل فيها رؤوس الحملان لكيلا ترضع أمّاتها، وهو يريد الأغلال . على علاته: أي على قلة مال أو عدم . ولا معدماً من خابط: يريد ولا معدماً خابطاً ومن زائدة لاستغراق الجنس. الخابط: طالب المعروف. الورق يريد بها المعروف. المعدم: المانع . الليث: الأسد. عثر: موضع. كذب: لم يصدق الحملة في القتال عليه . يريد: إذا ارتمى الناس في الحرب بالنبل دخل هو تحت الرمي، فجعل يطاعنهم، فإذا تطاعنوا ضارب بالسيف، فإذا تضاربوا بالسيوف اعتنق قرنه و التزمه، هذا: أي أمره هذا. لا يعيا بخطته في الندي: أي في مجلس القوم.)

المقدمة:

هزت أفعال هرم بن سنان[٦] المحمودة شاعرية زهير بن أبي سلمى فانبرى يمجد أفعاله ، في مدائح تخلد صنائعه النبيلة ، وتمثل هذه الأبيات مذهب زهير الشعري في المديح الذي يجسد فضائل الممدوح النفسية والجسدية ، وفيما يلي سنحلل هذا النص في مستوييه الفكري و الفني:

المستوى الفكري : يتجلى المستوى الفكري في أبيات زهير بمجموعة الفكر التي تجسد خصال الممدوح ، وتتوزع بين هيئاته و أفعاله :

الهيئات و الأشكال :هي مجموعة الهيئات و الأشكال التي ترسم صفات حسية لصورة الممدوح، ونجدها في الأبيات على النحو الآتي :

بهاء المحيا (الأغر الأبيض) : ساد في الشعر الجاهلي وصف الممدوح بالأغر وهو تعبير يعني : البياض مع سعة في الجبهة ، وهو تعبير مجازي يراد به علامة صفاء الأعمال والأفعال الكريمة ونصاعتها. و أراد بالأبيض أنه نقي لا عيب فيه. وهي أشكال حسية مرئية يقصد بها الأفعال ، فقد اعتنى "زهير" في هذه الأبيات بإظهار الممدوح في صورة ناصعة الخصال والمزايا الخُلْقيّة والخَلْقيّة، فاختزل شكله بتعبير أغرّ، أبيض الذي حمل معنى بهاء الطلعة وحسن الهيئة وجمالها، ومعنى نقائه من العيوب، ووضوح آيات السماحة والكرم بوجهه.

هيئة بيته وقصّاده: صور الشاعر بيت هرم مبتغى وجهة طلاب المعروف وجعل لهم طرقاً إلى أبوابه ، لكثرة ترددهم عليه وقصدهم إليه.

هيئة خيله : صور زهير هيئة خيل هرم أن الأرض أكلت مآخير حوافرها لكثرة ما يقودها في الغزوات البعيدة ، وهي خيل محكمة في الصنعة (الهيئة و الخلق) مثلما أحكمت الحكمات التي أحكمت بها (أي لجمت بها) و كإحكام حبال الكتان أو القنب .

٦ - هرم بن سنان بن أبي حارثة ، أحد أجواد العرب وزعاماتها في الجاهلية يضرب المثل بجوده ، فيقال أجود من هرم.ينظر: تمثال الأمثال ، محمد بن على العبدري، تحيق د. أسعد ذيبان ، دار المسيرة بيروت،لبنان ، ١٩٨٢، ج١، ص١٣٠.

وهي خيل يغزو بها سماناً ضخمة ظاهرة الحمل وترجع مهازيل تضع ما في بطونها خدجاً من شدة التعب ويرجع بها مجهدة هزيلة تتألم من حوافرها، واهنة لا تحتاج إلى أرسان. وعبّر عن هيئة الخيل التي يقودها للدلالة على مكانته وبأسه وحزمه وزعامته وفروسيته.

هيئته في القتال: صور زهير الممدوح حين يصارع الأقران بهيئة ليث عثر المعهود بشراسته وبأسه وجعل الممدوح أشد فهو يصدق حين لا يصدق الليث بحملته على الخصم ، وجعل الممدوح يغشى الأعداء بالرماح إذا هم رموا من بعيد ، وإذا تطاعنوا بالرماح دخل من تحتها ضارباً بالسيف وإذا تضاربوا بالسيف دخل تحت السيف واعتنق الخصم .

ولم يُعْنَ زهير بالوصف المباشر لجسد الممدوح إنما عبّر عنه بأشكال توحي بالفعال الحميدة ، فرسخت الأشكال التي عرضها فضائل الممدوح .

الفعل : وهو مجموعة الأفعال الحسية والمعنوية التي يقوم بها الممدوح وقد عني "زهير" بإظهار تلك الأفعال التي تجسد فضائل هرم ومحامده، وبرزت في الأبيات على النحو الآتي:

الشجاعة و القوة و الفروسية: وظهرت ببسالة رجولته وإقدامه، وجرأة فروسيته، فبدا متفوقاً على من سواه بشجاعة فريدة مقرونة بالعفة، والنبل، وسعة الأخلاق التي تميّزه من غيره من الفرسان، وتظهر نزعة الزعامة في تصرفاته.

قوّة الشخصية: توشي فعال الممدوح بصدورها عن شخصية متفردة بقوتها وحنكتها، فهي أصيلة النزوع إلى السيادة متطبّعة بطباعها العالية، متأصلة بالحزم والعزيمة والإرادة متمكنة من السيادة، وقد مالت أوصاف" زهير" للسيد إلى إكسابه سمات توحي بالملوك، فألح على المعنى القديم للبطل أو الزعيم الذي يتولّى أعماله بديلاً عن الملك، ويخطو إلى عالم الآلهة[٧]"، فيجيّر سيادته إلى حيّز الأساطير علواً به في الزعامة والمهابة.

النبل: ألح "زهير" على إظهار الممدوح متأصلاً بسمو النسب والسيادة، متطلعاً إلى التنافس على بناء المجد، مبارياً سلفه الذين ضاهوا الملوك بشممهم وخصائل السيادة بهدف الحفاظ على إرثهم الذي أكسبوه إياه والسعي إلى الارتقاء به متسامياً على الصغائر، نافراً بشدة من الأفعال غير المحمودة.

الحكمة: ربط "زهير" فعال الممدوح بالحكمة، وأبلغ في تزيينه بها، فجعله زعيماً بارعاً في حسن التدبير، يمتلك بصيرة نافذة ورأياً حكيماً حليماً في المواقف والحوادث العسرة، متمتعاً بحسن السياسة في قيادته.

الجود و الروح الإنسانية: أولى "زهير" الأهمية القصوى لإبراز نصاعة الروح الإنسانية في فعال الممدوح، فجعل السماحة آية في طلعته، والسخاء علامة في جبينه يستبشرها الناس في هيئته، ويتوخونها في مناقبه الجليلة التي تفرّده عن سواه بالنجدة والمروءة ونقاء الطبع ودماثة الأخلاق وعلوها. و أبرز فيه خصلة العفّة إذ خلع على ممدوحه كساء من سعة الأخلاق، وتغنى بسموه عن الفواحش و الفعال المذمومة.

البيان : أصّل "زهير" في الممدوح سمات بلاغة الممدوح وفصاحته وقدرته على الإقناع، ونفاذ رأيه وخطّته.

رسمت جملة الأفعال السابقة الأعمال المحمودة في الرجولة الجاهلية التي تستحق التغني بها فمجدها في شخص هرم ، وتشابكت جملة الأفعال و الأشكال في الأبيات لتجسد البنية الفكرية في المديح وإعلاء الخصال المحببة التي يتطلبها العصر.

٧ ـ أنتربولوجية الصورة و الشعر العربي قبل الإسلام، ص ٢٧١.

المستوى الفني: هو جملة الألفاظ و الأساليب و الصور و الإيقاعات التي تكسو المعاني و الأفكار بأوشحة تجعلها محببة لنفس المتلقي و تثير أخيلته ومتعته، وسنفصل ذلك وفق الآتي.

الألفاظ:

تشكل الألفاظ البؤرة الأولى في بناء الإحساس الجمالي بمعاني المديح ، فقد استعمل "زهير" مجموعة ألفاظ تجسد الفضائل و المحامد المحببة في الرجولة والزعامة الجاهليتين ، وترسخ الإحساس بمآثر الممدوح من سماحة وكرم وقوة ومهابة ، فبرزت في الأبيات جملة معاجم تدور ألفاظها في فلك الفضائل منها على سبيل المثال:

معجم الجود: السماحة ، أغر ، أبيض ، فياض ، خلقا... و هي ألفاظ تعنى بمعاني السخاء و الكرم والسمو الأخلاقي

معجم الفروسية :ليث، صدقا، القائد ، بطعنهم ، اعتنقا.. وهي جملة ألفاظ تجسد معاني الفروسية والشجاعة والقوة

عملت المعجمات اللفظية على ترسيخ الإحساس بفضائل الممدوح الأخلاقية والخلقية التي تنتمي إلى قيم العصر الجاهلي.

و أسهمت الصيغ الصرفية للألفاظ في بناء تعظيم الأفعال والأشكال التي تبين صفات الممدوح الحميدة ، فوظف الشاعر صيغ التفضيل : خير ، أحزمهم للدلالة على الزيادة و الفضل بالخير و الحزم و النيل و سعة الأخلاق.

و وظف أسماء الفاعلين : القائد ، نائلاً، ضارب، للدلالة على استمرار صفات القيادة و النوال و الضرب وتأكيد فاعليتهم . وعملت الدلالات الصرفية في الأبيات على تعاظم دلالات الألفاظ التي تجسد مكارم الممدوح.

التصوير:

شكّل التصوير الفني أعلى البنى الجمالية في تكوين قيم الممدوح وفعاله بسبب قدرته على توليد مؤثّرات جمالية تخيلية تفرض سلطانها على الحواس والذهن في الآن معاً، وقد وظف "زهير" التصوير البلاغي لإبراز الدرجات الجمالية العليا لشدة قوة المظهر مجسدة بمحسوسات تبرهن على محاكاتها لوقائع تدرك بالذهن أو الحواس، لتمنح التخيل صدقاً فنياً، فشبه إحكام خلقة الخيل بإحكام الأبق للتنظير بِمَثَلٍ أعلى لجمال صنع الخلقة، مُستمَدٍّ من البيئة معهودٍ في الحياة، بقصد إثارة الخيال و التهويل و المبالغة والتوضيح .

ووظّف المؤثّرات الجمالية للكناية في تصوير رفعة فعال الممدوح التي بات يستدل عليها بمؤثراتها، فكنى عن سخاء هرم ونقاء سريرته بأغر أبيض، جاعلاً الصفات المعنوية محسوسة بآيات واضحة في محياه لشدة اتصافه بها. بقصد البرهان والإقناع . (في الأبيات صور بلاغية عديدة)

أسهم التصوير البلاغي في بناء جمال المعاني و التحفيز على تخيل دلالتها التي ترسخ صفات الممدوح و تقنع بها وتثير الخيال الممتع في تقصي آفاق المعنى.

الإيقاع :

تجلّى الإيقاع في الأبيات بمظاهر موسيقية صوتية متعددة ، منها تكرار ألفاظ و أصوات أحرف توحي بمعاني المدح ،مثل تكرار لفظ خير في البيت الأول بعينه ثلاث مرات دلت على الزيادة والفيض بعلو النسب والمكانة والأخلاق وتأكيد خير الممدوح، ويبدأ اللفظ بصوت (الخاء) الموحي بالمطاوعة والانتشار والدفء، وهي صفات العطاء الخيّر الذي يبشّر بسعة الحياة والرفاء والأمان، ويتدفق بين ضفافه فيض جمال سكينة الحياة التي تنشأ من فعل الخير

والسعة على الناس، وينتهي هذا اللفظ بصوت (الراء) الذي يوحي بتكرار الحركة المرّة بعد المرّة للدلالة على الكثرة وترجيع الإغداق، وهو الجانب الذي تخيّر الرجل به على غيره جوداً وكرماً. وتكرر صوت (الطاء) الذي يوحي بقوة الفارس وطعانه وعلو مقدرته في اصطياد الفرسان وتكرر حرف (الضاد) الذي يوحي بالصلابة والشدة، وبالفخامة والضخامة والامتلاء بوصفها أحاسيس بصرية، وبالضجيج بوصفه إحساساً سمعياً، وبالشهامة والرجولة والنخوة لكونها مشاعر إنسانية سامية.

وعمل الروي المنصوب على الإيحاء بالرفعة والشموخ والكبرياء، وصب الشاعر مختلف هذه الإيقاعات في تفعيلات البحر البسيط الذي يوحي بانبساط المشاعر والنفس، فهو توقيع تنساب فيه المشاعر بطلاقة، فيطلق السراح للمعنى إيقاعياً.

الخاتمة:

تجسد أبيات زهير نموذج المديح الجاهلي الذي يمجد فضائل الممدوح الحسية والمعنوية، وتغنت بتلك الخصال التي أسهمت في تخليد فعال هرم بن سنان، وهي خصال مبجلة في المجتمع الجاهلي.

تحليل نموذج وصف السيل لوحة السيل للشاعر أوس بن حَجَر

قال أوس بن حَجَر في وصف السحاب (السيل)[٨](البسيط):

١ إِنِّي أَرَقْتُ ولمْ تَأْرَقْ معِي صاحي لِمُسْتكفٍّ بُعَيدَ النَّومِ لَوَّاح

٢ قد نِمْتَ عَنِّي وباتَ البَرْقُ يُسْهِرُني كما اسْتَضاءَ يَهودِيٌّ بِمِصْباحِ

٣ يا مَنْ لِبَرْقٍ أَبِيتُ اللّيلَ أَرْقُبُهُ في عارِضٍ كَمُضيءِ الصُّبحِ لمّاحِ

٤ دانٍ مُسِفٍّ فَوَيقَ الأَرْضِ هَيْدبُهُ يَكادُ يَدفَعُهُ مَن قامَ بالرَّاحِ

٥ كَأَنَّ رَيِّقَهُ لَمَّا عَلا شَطِباً أَقْرَابُ أَبْلَقَ يَنْفي الخَيْلَ رَمَّاحِ

٦ هَبَّتْ جنوبٌ بأعلاهُ ومالَ بِهِ أعجازُ مُزْنٍ يَسُحُّ الماءَ دَلاَّحِ

٧ فالْتَجَّ أعْلاهُ ثُمَّ ارْتَجَّ أسْفَلُهُ وَضَاقَ ذَرْعاً بحمْلِ الماءِ مُنْصَاحِ

٨ كأنّما بينَ أعلاهُ وأسفلِهِ رَيْطٌ مُنَشَّرَةٌ أو ضَوءُ مِصْباحِ

٨ . ديوان أوس بن حجر، ص١٥و١٦و١٧.

٩ يَنْـــزَعُ جِلْـــدَ الحَصَـــى أَجَـــشُّ مُبْـــتَرِكٌ كأنَّـــــهُ فَاحِـــــصٌ أوْ لاعِـــــبٌ داحـــــي

١٠ فمَـــــنْ بِنَجْـــــوَتِهِ كَمَـــــنْ بِمَحْفِلِـــــهِ والمسْـــــتَكِنُّ كمَـــــنْ يَمْشِـــــي بِقِـــــرْوَاحِ

١١ كـــــأنَّ فيـــــهِ عِشَـــــاراً جِـــــلَّةً شُـــــرُفاً شُـــــعْثاً لَهَـــــامِيمَ قـــــدْ هَمَّـــــتْ بِإِرْشـــــاحِ

١٢ هُـــــدْلاً مَشـــــافِرُهَا بُحّـــــاً حَـــــناجرُها تُزْجـــــي مَرَابيعَهـــــا في صَحصَـــــحٍ ضـــــاحي

١٣ فأصْـــــبَحَ الـــــرَّوْضُ والقِيعـــــانُ مُمْرِعَـــــةً مِـــــنْ بـــــينِ مُـــــرْتَفِقٍ منهـــــا و مُنْطَـــــاحِ

(**الكلمات** : ـ المستكف: المطر الهاطل. لاح: لمح. . العارض: السحاب الذي يتعرض على وجه السماء، أو الذي يسبقه برق شديد الوميض. . مسفّ: شديد الدنو من الأرض. هيدبه: ما تدلى منه. . ريّقه: مشرفه ليس بمعظمه. شطب: اسم جبل في بلاد بني تميم. أقراب: جمع القرب، وهو الكشح. ينفي الخيل: يطردها. . الجنوب: ريح تأتي بمطر غزير. الأعجاز: جمع عجز، وهو مؤخر الشيء. المزن: السحاب الأبيض. دلاح: مثقل بالماء. . التجّ: صوّت. منصاح: منشق الماء. . الريط: جمع ريطة، وهي الملاءة إذا كانت قطعة واحدة. منشّرة: منشورة . أجش: غليظ الصوت. المبترك: سريع العدو. الفاحص: الذي يقلب وجه التراب. الداحي: الذي يلعب بالمدحاة. . النجوة: ما ارتفع من الأرض: المحفل: مستقر الماء. المستكن: الذي في بيته. قرواح : الأرض المستوية. . العشار: التي أتى عليها عشرة أشهر في حملها. الجلة: المسن من الإبل. الشرف: الكبار منها. اللهاميم. : الغزار. ويقال أرشحت الناقة إذا اشتد فصيلها وقوي. . هدل: مسترخية. تزجي: تسيم وترعى. المرباع: الناقة التي تضع في ربعية النتاج، وهو أوله. الصحصح: المكان المستوي الظاهر. . المرتفق: ماء راكد قد حبسه شيء يرتفق به. المنطاح : سائل لم يكن له ما يحبسه فسال.)

المقدمة:

رسم أوس بن حَجَر في هذه الأبيات لوحة للسحاب وهطول المطر، وقد أنشأها بوحي تجربة حية جراء مشاهدته لهذا التكوّن الذي بعث فيها الإحساس بجمالية روعة التشكل لما يضمنه من مشاهد غزارة المطر وضخامة السحاب وشدة العصف والبرق، وهي مشاهد تقوم على قوة الفعل وضخامة الشكل ومهابته، وسندرس البناء الفكري والبناء الفني لهذه اللوحة وفق ما يأتي:

المستوى الفكري : يتجلى المستوى الفكري بمجموعة الفكر التي تضمنتها أفعال السيل والسحاب وشكلهما :

ـ الشكل: رأى أوس السحاب يرخي على الأرض ستائره المدلهمّة، ويفجّر ببرقه سكون الطبيعة، ويفيض عليها بمائه، فاستثارته روعة المشهد، فرسم تفاصيل شكله والمرئيات التي كونته:

اللون: ظهر لون السحاب في اللوحة مركّباً من تباين شدة البياض الذي نتج عن إضاءة البرق وشدة السواد الذي شكلته حلكة الغيوم ، فكان الأفق ملبداً بالغيوم الحالكة، ووهج البرق يضيئه، و أكثر من تصوير البرق ، فجعله مرة

مصباح يهودي يتوهج ، و مرة لمع صباح يشرق ، ومرة برداً يمانية مخططة ، وأخرى رمح الخيل التي تكشف عن بياض كشحها، وكانت مجمل الصور والتشبيهات تقرن بياض البرق بسواد الغيم .

الكثافة: ظهرت كثافة السحاب تغلق الأفق بتكدّسِ طبقاته ، والكثافة عنصر من عناصر ضخامة الشكل وسعته، لكنها تدل على ثقل الغيم بالماء.

الضخامة: تجلت ضخامة السحاب بتصوير ثخانته، وسعته التي أغلقت الأفق بضخامة حجمه، ودنوه من الأرض حتى كاد يطبق عليها، وكثرة مائه التي صبّها على الأرض، فملأت مرتفعاتها وقيعانها، وعبّرت صورة الضخامة عن فخامة حجم المرئي واتساعه .

انصباب المطر: صور السحاب يضيق ذرعاً بحمل الماء فينشق غزيراً منهمراً ،سريعاً قوياً يخلع جلد الحصى ويجرف التربة.

مشهد السيل: صور السيل الذي نتج عن كثرة الهطل يغمر الأرض بودياناها ومرتفعاتها.

تمحورت جملة الأشكال حول الضخامة والمهابة التي تبعث الشعور بروعة السحاب و السيل.

الفعل: لم يقدّم الشاعر المرئي المهيب في صورة السحاب هيكلاً جامداً، بل بيّن عناصر فعله الرائع، وأثره الجمالي من خلال مكوناته الآتية:

القوة: تجلت مظاهر قوة فعل السحاب بقوة انصباب المطر، وشدة هطله التي تنزع جلد الحصى وتقلب وجه الأرض، فيسوق المطر أمامه كل ما يعترضه ويجتحفه، وتتبدى قوته كذلك بالدلالات الجمالية لضخامة السحاب، وكثافته، وغزارة هطله، وكثرة فيض مائه.

الغزارة: ظهرت غزارة المطر بشدة انصبابه، وكثرة مائه، وسعة فيضه، وإغراقه الأرض بالماء.

السرعة: بدا الهطل سريعاً في حركته، كأنه الفاحص الذي يقلب الأرض، أو كأنه مدحاة الصبي التي تمرّ على وجه الأرض مسرعة تجرف ما تصادفه بسرعة وقوة.

ظهرت الأفعال التي كونت السيل نتيجة للأشكال الفخمة ،تعبر عن قوة الهطل و تشكيله فيضاً يكوّن السيل.

كانت الأشكال والأفعال مترابطة في تكوين السيل وقوته وفيضه وبناء الإحساس بروعته.

المستوى الفني : شكّل أوس معاني لوحة السيل في نسيج فني تداخل فيه جمال دلالة اللفظ مع تخيل التصوير ،وروعة الإيقاع:

الألفاظ

اكتنزت اللوحة ببنية لفظية توحي بقوة السيل ومهابته بتعبيرها عن معاني القوة والشدة في الفعل، وعن المهابة والعظمة في الشكل، فتشكلت في النص مجموعة معجمات تعبر عن روعة شكله وأفعاله ،فكان معجم البرق الذي يعبر عن شدة الإضاءة والوهج (البرق، مصباح ،كمضيء ، الصبح ، أقراب، ريطة)

ومعجم الماء والسحاب الذي يدل على غزارة الهطل وقوته(مستكف ،دان، مسف، ماء ، مزن ،منصاح ،دلاح)،ومعجم الغمر الذي دلت عليه الأمكنة التي استوت عليها المياه(محفله، نجوته، مستكن ، قرواح، الروض، ممرعة ، القيعان، مرتفق ،منطاح) ، وأسهمت الصيغ الصرفية التي توخّاها الشاعر في تفجير طاقاتها التعبيرية للدلالة على تنامي تصاعد قوة الفعل، وتعاظم روعة الشكل، لتكوّن الإحساس بجمالية السيل، فدلت صيغ المبالغة (لواح ، لماح)

على الزيادة والإكثار في اللوح واللمح، ودلت الأفعال المضارعة (يسح ، أرقبه ، يسهرني) على تجدد السح و الرقب و السهر واستمرارهم ، ودلت صيغ الماضي (ارتج ، التج ، هبت) على تحقق الارتجاج والالتجاج ،والهبوب و ثباتهم.

عملت الألفاظ، بإيحاءاتها بمعاني قوة فعل السحاب وعظمة شكله، على تكوين البؤرة الأولى للإحساس بمهابة السيل، واتخذت هذه الألفاظ نماء دلالياً أكبر في اتساقها في بناء صور ذات طابع تخيّلي جسّدت مظاهر المهابة الحسية والمعنوية.

الصور:

اتّسم التصوير في لوحة أوس بقدرته على تطويع الصورة لتجليات جماليات الحياة المختلفة، فما كان رسماً جامداً للمرئي، بل إبداعاً لبناء أطياف الجمال الحي في اللوحة، وغلب فيه التشبيه، فقد شبّه الشاعر استضاءته بالبرق باستضاءة الراهب بمصباحه، وبياض ضوء البرق بضوء الصبح، وانتشاره على وجه السحاب بالثوب، أو ضوء المصباح، وقوة وقع المطر على الأرض بفحص القطاة ومدحاة الصبي، والسحاب بثوب له أهداب، فاستثمر التشبيه لفائدته بإثارة الخيال و المبالغة والتهويل و التوضيح .

واستعمل أوس التشبيه التمثيلي الذي يفيد الزيادة على ما يفيده التشبيه، لأن التمثيل يقدّم الحجج و البراهين العقلية التي تؤدي إلى زيادة الإقناع، و إثارة الخيال و المبالغة والتهويل و الإيضاح.

. ومثّل أيضاً لحركة السحاب بحركة النوق العشار تتباطأ في مشيتها بسبب حملها، وبحركة النوق المسنة التي أثقلها وهن السنين، ومثّل لهدير الرعد في السحاب ببحة حناجر النوق، ومثل لإدرار مطره بإدرار النوق حليبها بعد اشتداد فصيلها، وكان اهتمام أوس بالصورة نابعاً من وعيه لأثرها في بناء جمالية المظهر الرائع، ووظف الكناية لفائدتها بالإقناع و البرهان و تجسيم المعني بالحسي ، فكنى عن قوة المطر بقوله : يَنْزَعُ جِلْدَ الحَصَى.

صدر أوس في تصويره عن طبع جمالي أصيل اكتسبه بالذوق والتجربة الفنية الحية، وكان على وعي تام بأثره في بناء جمالية لوحته.

الإيقاع :

صبّ أوس هذه اللوحة البصرية للسحاب على إيقاع صوتي شكّلته مجموعة الحروف التي تعبّر إيحاءاتها الصوتية عن حركة المطر وانصبابه، وما يرافقهما من أصوات الريح والاحتكاك والتفجّر والانبثاق والظهور، تكرر صوت الميم الموحي بالكسب واستخراج ما في الأشياء المجوفة وأصوات الطبيعة (أربعاً وأربعين) مرة. وحرف النون الموحي بالانبثاق والخروج وأصوات الطبيعة (ثمان وثلاثين) مرة. وحرف الراء الموحي بأصوات التحرك والتكرار والترجيع (تسعاً وعشرين) مرة وتكرر حرف الحاء الموحي بأصوات الطبيعة والحفيف والانفعال (سبعاً وعشرين) مرة. وشكّل الموسيقا المباشرة في النص لكونه الروي، وتكرر حرف الفاء الموحي بالتشتت والبعثرة وأصوات الطبيعة . وحرف العين الموحي بالإشراق والظهور. وحرف القاف المعبر بصوته عن الانفجار والشدة وأصوات الطبيعة . وتكرر حرف الجيم الموحي بالامتلاء والفخامة والشدة وأصوات الطبيعة . ، وكثر تكرار الأحرف المجهور التي توحي بإيقاع أجواء الفخامة والمهابة ، و القوة، فأوحى هذا التكرار للأصوات ببناء إيقاع يوحي بمدلولات اللوحة مشكلاً صداها الموسيقي، و أوحى حرف الروي المكسور بالرهبة و الوقار و المهابة. وسكب الشاعر جملة الإيقاعات بمجرى لإيقاع خارجي تشكله تفعيلات البحر البسيط التي تعمل على

انبساط المشاعر والأحاسيس التي تبعثها لوحة السيل ومشاهده فتوحي بانبثاقها من تجربة الشاعر وإحساسه الجمالي بهيبة السيل وروعة تشكله، وأوحى إشباع الحاء بالكسرة بالوقار و الهيبة و الحزن الذي رافق تأمل الشاعر لعالم التحول والتبدل الذي يوحي به السيل، الذي يقنع خلفه احتباس دموع الشاعر جراء معاناته من تبدل صور الحياة وتحولها.

خاتمة :

شكلت هذه اللوحة الرؤية الجمالية لتشكل السيل في الشعر الجاهلي وهو مشهد مألوف في حياتهم، استلهموا من تكوينه رؤيتهم لتجدد الحياة وخصوبتها وحملوا صورته ظلالاً من الرموز التي تتغلغل في أعماقهم جراء تراكم التجارب وخبراتهم وثقافتهم فيها، وهي رؤى مشدودة بقوة إلى واقع حياة الجاهلي.

ملاحظات : شروط التحليل هي ذاتها التي وردت في محاضرات الفصل الأول .

انتهى المقرر

د. خالد زغريت